مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

أحلام طفلة اسمها «بيسان»

عن قصة الأطفال العالمية "بائعة الثقاب"

بقلم: ساما عويضة

أحلام طفلة اسمها «بيسان»

عن قصة الأطفال العالمية "بائعة الثقاب"

تأليف: ساما عويضة

رسومات: خالد جرادة

تصميم: عماد ابوبكر

الطبعة الثالثة 2021

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية
آب 2014

يحكى أن طفلة صغيرة كان اسمها «بيسان» وعمرها تسع سنوات، كانت تعيش مع أسرتها المكونة من والد ضرير وأم مصابة بالتهاب رئوي حاد، وثلاثة أخوة صغار.

ولمّا كانت أحوال الأسرة بائسة جدا...فقد قررت «بيسان» أن تعمل لكي تساعد أسرتها، أسوة بابن الجيران «عادل» الذي كان يعمل ويساعد أسرته.

خرجت «بيسان» من بيتها باتجاه بيت الجيران، وهناك قابلت «عادل» وسألته عن طبيعة عمله، وعن إمكانية مساعدتها في إيجاد عمل...واتفقا أن تخرج «بيسان» مع «عادل» في اليوم التالي؛ لكي تتفق مع أحد التجّار الذي كان يزود «عادل» ورفاقه ببضاعة يبيعونها على الحاجز العسكري الإسرائيلي، حيث كانت تصطف عشرات السيارات يوميا بانتظار عبور الحاجز الفاصل ما بين مدينتي رام الله والقدس...

وبالفعل خرجت «بيسان» مع «عادل»في اليوم التالي، واتفقت مع التاجر على بيع المحارم الورقية على الحاجز يوميا بعد انتهاء ساعات الدوام المدرسي..

وبدأت «يسان» عملها اليومي بعد العودة من المدرسة، تستلم البضاعة وتعرضها على أصحاب السيارات المصطفة على الحاجز إلى أن تغرب الشمس، فتسلّم النقود وما تبقّى من البضاعة للتاجر مقابل أن تحتفظ بعمولة بسيطة هي كل ما كانت تجنيه من بيع المحارم الورقية.

في كل يوم، كانت بيسان تعود من العمل وتسلّم والدتها الفلوس، وتأوي إلى فراشها وقد أنهكها التعب، وبقيت على هذا الحال حوالي شهرين، إلى أن اكتشفت بأن ما تجنيه لم يعد كافيا، فقررت أن تترك المدرسة وتتفرغ للبيع والتجارة علّها تجني فلوسا أكثر...

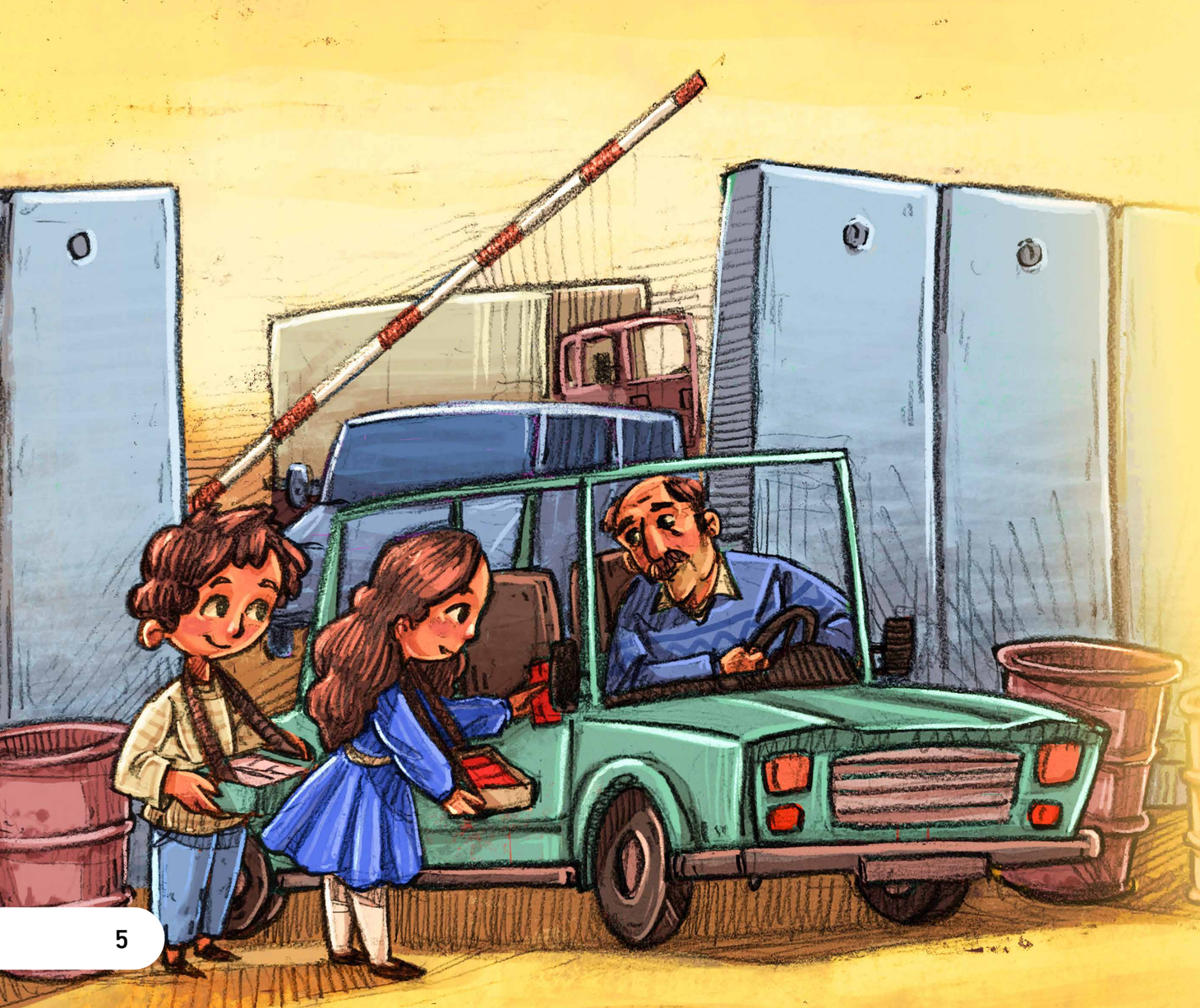

وبالفعل تركت «بيسان» المدرسة وبدأت تعمل منذ الصباح وحتى مغيب الشمس.. إلى أن كان فصل الشتاء، واشتدّت البرودة، ولم تعد «بيسان» تحتمل برودة الطقس، فأصيبت بوعكة صحية اضطرتها إلى ملازمة الفراش...

في تلك الليلة، وبينما كانت «بيسان» في فراشها تصارع من ارتفاع درجة الحرارة... حلمت بأنها تجلس أمام مائدة كبيرة عليها من أطباق الطعام والحلويات ما تشتهيه النفس...

استفاقت «بيسان» من نومها لتجد نفسها في فراشها ومن حولها اخوتها الجائعون... فقررت أن تترك الفراش وتعود للعمل...

ومع نهاية ذلك اليوم، عادت «بيسان» للبيت وقد تضاعف مرضها وارتفعت درجة حرارتها، فاندست مباشرة إلى فراشها ونامت...

وبينما هي غارقة في النوم، حلمت «بيسان» بأنّها تسكن في بيت نظيف وكبير، له حديقة كبيرة مليئة بالورود والأشجار، وبأنّها كانت تلعب مع أخوتها ما بين الأشجار...

ولكن، وعندما استيقظت وجدت نفسها مرّة أخرى في فراشها في تلك الغرفة المعتمة، تستمع إلى أمّها التي كانت ترجو صاحبة البيت أن تمهلهم وقتا إضافيا لدفع أجرة البيت المتأخر...

لم تستطع «بيسان» احتمال الموقف، فنهضت من فراشها، وتوجهّت نحو صاحبة البيت، وطلبت منها أن تمهلها وقتا واعدة إياها بأنها ستعمل على دفع الإيجار بشكل يومي، حيث ستعطي صاحبة البيت جزءا من الأجرة بعد انتهاء كل يوم عمل...

وهكذا خرجت «بيسان» مرّة أخرى للعمل بينما كانت ما زالت مريضة، وبينما كان الجو ما زال ماطرا وباردا...

وبينما كانت تتجول بين السيارات، شعرت بصداع شديد، ففقدت الوعي وسقطت أرضا...

وصل عادل وبقية الرفاق وحاولوا أن يساعدوا «بيسان» ولكن دون فائدة، تدخّل المارة واستدعيت سيارة الإسعاف التي نقلت «بيسان» إلى المشفى.

هناك في المشفى وبينما كانت راقدة..حلمت بيسان بأنّها تلبس فستانا أبيض، وبأن لها أجنحة كبيرة..وبأنّها كانت تطير في السماء...

أفاقت «بيسان» من نومها، فوجدت نفسها في سرير نظيف، ومن حولها ممرضات وممرضين يلبسن ويلبسون الملابس البيضاء..يعطونها الدواء والطعام ويطمئنون عن صحّتها وعن أحوالها دون أن يفارقوها لحظة...

وبينما هي سعيدة فيما بينهم، وصلت الباحثة الاجتماعية، التي استأذنت «بيسان» واستفسرت منها عن أحوالها وأحوال أسرتها...

تحدّثت المشرفة الاجتماعية عن أهمية التعليم بالنسبة للأطفال، وعن أن التعليم هو حق لكل طفل وطفلة تكفله الدولة... وقالت بأن التعليم يكفل حياة كريمة ومستقبل مشرق...

كما تحدّثت عن مخاطر العمل بالنسبة للأطفال، وعن حق الأطفال في حياة آمنة بعيدة عن مخاطر الشوارع...

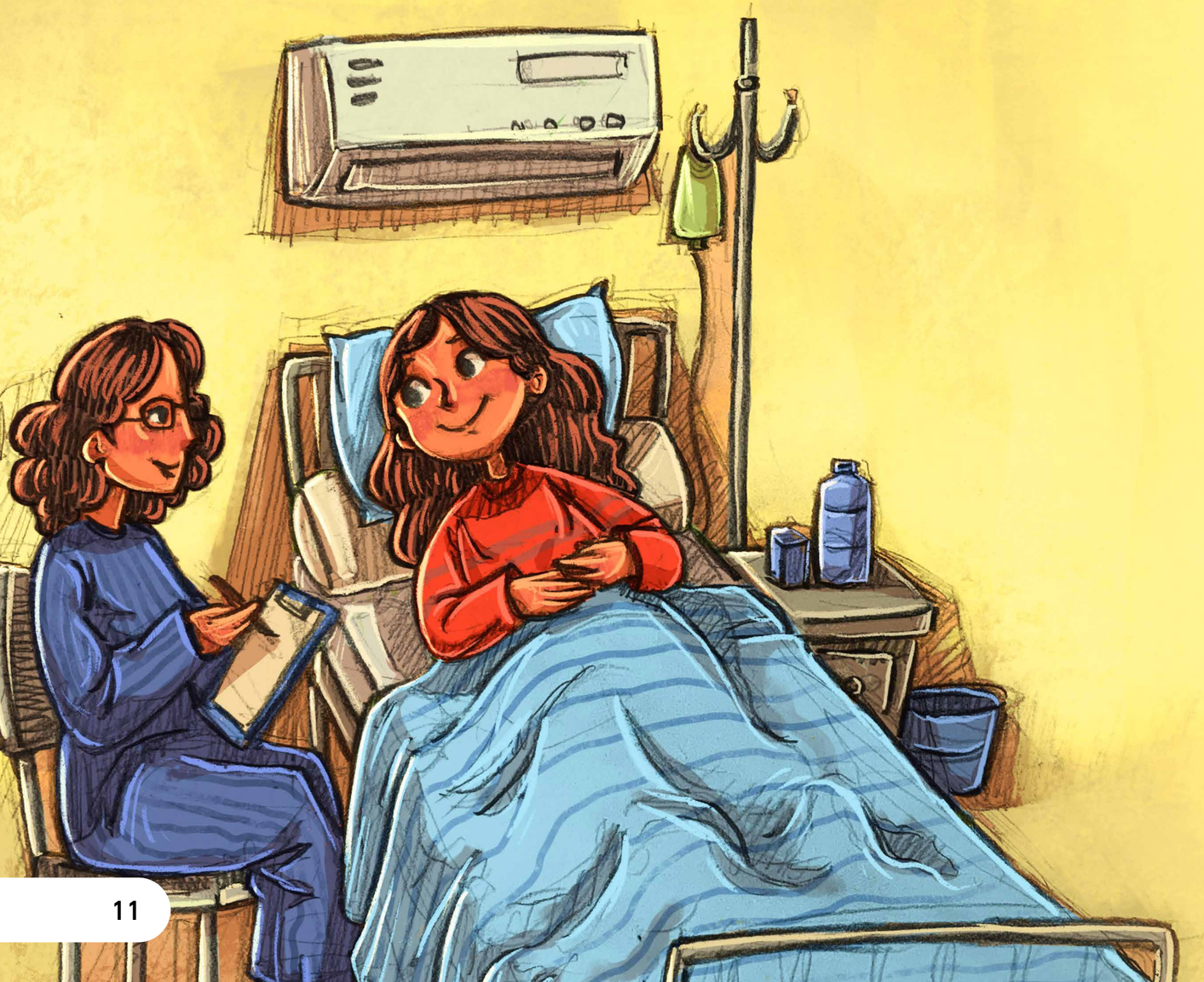

وتحدّثت المشرفة أيضا عن مسؤولية الدولة تجاه الأسر الفقيرة، وعن أن هذه المسئولية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مسئولية الأطفال...وأخيرا سجّلت في دفترها عنوان أسرة «بيسان» وغادرت...

في تلك الليلة، حلمت «بيسان» بأنّها قد تعافت وعادت إلى بيتها، فوجدت أسرتها بانتظارها...كما وجدت حقيبة مدرسية فيها كتب وكراريس وأقلام، وألوان...

فتحت بيسان أعينها، فوجدت نفسها ما زالت في المشفى، بين ملائكة الرحمة... تناولت الطعام والدواء ثمّ أغمضت عينيها، فحلمت بأنّها تستلم شهادتها في المدرسة وسط تصفيق كل الطالبات والمعلمات...وبأنّها حملت شهادتها فطارت بها في السماء وحلّقت ما بين النجوم اللامعة...

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

Main Office المكتب الرئيسي
القدس، ضاحية البريد
عمارة الحرباوي، الطابق الأول
Jerusalem, Dahiyat Al-Bareed,
Al-Hirbawi Building, 1st floor
director@wsc-pal.org
+972 2 234 8848

Ramallah Office مكتب رام الله
عمارة البنك العربي،فرع البلد
رام الله التحتا، الطابق الثالث
Ramallah Al-Tahta,
Arab Bank Building, 3rd floor
accountant@wsc-pal.org
+970 2 295 1351

Nablus Office مكتب نابلس
نابلس، شارع البساتين
مجمع البساتين التجاري، ط6
Nablus, Al-Basateen Street
Al-Basateen Building, 6th floor
north@wsc-pal.org
+970 9 2375545

Hebron Office مكتب الخليل
مجمع الرشاد التجاري، الطابق الخامس
Al- Rashad Ttrade Centre, 5th floor
south@wsc-pal.org
+970 2 229 4007

wsc-pal.org WscPal

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية